

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧١٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ — ٣١ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

معروف الرصافي

للأستاذ عباس محمود العقاد

في هذا الكتاب دراسة أدبية للشاعر العراقي الكبير وبيئته السياسية والاجتماعية كتبها الأستاذ بدوي أحمد طبانة مدرس اللغة العربية وآدابها في دار المعلمين العالية ببغداد .

ونحن نرحب بهذا الكتاب وبأمثاله لأكثر من سبب واحد : لأن تأليف الكتب عن الشعراء المحدثين بعد وفاتهم سنة حسنة لم نأخذ بها كثيراً في حياتنا الأدبية المصرية .

فقد يشتهر الشاعر ويسير شعره في الآفاق ويلتف به المعجبون والرواة التثيمون . ثم تنقضي حياته فتنتفي النماية به وبشعره وتطويه كل سنة تغفى بعده في حجاب بعد حجاب ، وقصارى ما يبلغه من بقاء الذكر أن يصاد طبع ديوانه إن كانت له ذرية يعينها طبعه والإبقاء على شهرة صاحبه ، أو كان طبع الديوان لا يكلف طابعه مفرماً ولا مشقة . فأما الدراسة والتحليل وتخليد السيرة في الكتب التي تصلح للمطالعة والتداول فذلك عمل نادر في حياتنا الأدبية المصرية أو معدوم . لأن الذين ظفروا بمد موتهم بالكتابة عنهم لم يكن فضلهم كله مقصوراً على الشعر والمقبرة الشعرية ، وكانت شفاءهم إلى الذكر مناصب الدولة أو غير ذلك من الشفاعات .

ونرحب بكتاب « معروف الرصافي » مرة أخرى لأنه علامة من علامات التقارب بين الأقطار العربية في هذه الآونة التي وجب

فيها التقارب بين هذه الأقطار وتبنيات له العوامل والأسباب . وكثيراً ما سمعنا المتب من أدباء العرب في سورية ولبنان وفلسطين والعراق والحجاز لأن صحف مصر لا تفصح صدورها للتنويه بآثارهم والتعقيب على أعمالهم ، فكنا نقول لهم إن شأن أدباء العرب في ذلك كشأن الأدباء المصريين أنفسهم بغير خلاف . لأن الصحافة المصرية لا تكتب عن مؤلفات الأدباء المصريين ولا تتبع أعمالهم بالنقد أو الثناء ، ومن المصادفات التي تذكر في هذا الصدد أن كثيراً من الصحف المصرية يتولاها أناس من أصول لبنانية أو سورية ، فليس في الأمر تمييز بين أمم العرب بل هو تقصير شامل لكل أمة منها بلا استثناء .

أما إذا رجعنا إلى الشعب المصري — بمعزل عن الصحافة — فقد يكون إقباله على المؤلفات العربية متى وصلت إليه أكثر من إقباله على المؤلفات المصرية ، لأنه في هذه الحالة يضيف حب الاستطلاع وحب المجاملة إلى حب التقدير والاستفادة .

فالآن يبرنا أن ترى أدبياً مصرياً يتجرد للدراسة شاعر عراقي كبير ويسبق أدباء العراق إلى هذه الدراسة وهي من واجب الأدباء في الأقطار العربية جمعاء ، وقد أشار الأستاذ الجليل السيد محمد رضا الشيباني وزير المعارف السابق بالعراق إلى هذا المعنى في مقدمته للكتاب فقال : « ومما راقتني جداً أن يعنطع بها مؤلف مصري فيحوز قصب الحق في هذا المقام على أدباء العراق » ثم قال : « وقد تصفحت الكتاب فإذا مؤلفه الأستاذ قد ألم بكثير من النواحي التي ينبغي الإلمام بها في هذا الشأن ، فلم يفته البحث في بيئة الرصافي ومنشئه وسيرته وفنه وشاعريته إلى غير ذلك .

ولا بد للمدرسة من الجناح التطرف كما يقولون في لغة الحرب والسياسة ، فكان الرصافي ذلك الجناح وعليه جناحه ولا مرءاءا

على أن الأستاذ طبانة قد أفلح ولا شك في إبراز محاسن الشاعر وتشويق القراء إلى استقصاء شعره في مظانه ؛ فإن الشواهد التي أتى بها في سياق الترجمة إما حسنات أدبية تروق القارئ لما فيها من الظرف والبلاغة والسجيا الماثورة كقول الرصافي مخاطب وطنه :

يا موطناً لست منه في مودة

عش بعد موتى عيش الوداع الهاني.

فكل من فيك تمنيني مساعدتهم وكل أبنائك الأعداء إخواني
إن سرك الدهر يوم أسركني، وإذا آذاك بالزنجيات الدهر آذاني
أو قوله في الهجاء :

سوّد الله منك يا شيخ وجهها غش حتى باللحية السوداء
لو تنفنا من شعرها وغزلنا لنسجنا خمسين ثوب رياء
أو قوله في الرد على من يميون ظهور الفتاة على مسارح التمثيل:
وما المار أن تبدوا الفتاة عسرح تمثل حالي عزة وإياء
ولكن عاراً أن تريا رجالكم على مسرح التمثيل زى نساء
فإن لم تكن الشواهد من هذا القبيل فهي مراجع تاريخية يهتم القارئ أن يتابعها للوقوف على مناسباتها ، وهي على الجملة مناسبات الشرق الحديث في مرض السياسة والاجتماع .

ولم يبرز الأستاذ طبانة فضائل الرصافي وكفى ؛ بل هو قد أبرز من فضائل أهل العراق ما تضرب به الأمثال في تواريخ الأدب بين جميع الأقوام ، فنحن لا نرى في تلك التواريخ أمثلة كثيرة لمروءة ذلك المحسن الأريحي السيد «مظهر الشاوي» الذي تكفل بالشاعر في شيخوخته ومحتته فأجرى عليه أربعين ديناراً مشاهرة مدى حياته ، ولا نرى في تلك التواريخ وفاء كثيراً كالوفاء الذي ظهر من أهل بغداد في تشجيع الرصافي إلى مثواه . فكل ما أسكروه عليه أيام حياته من تمرد أو خروج على العرف والمقيدة لم يذكره ساعة فارق الحياة ؛ بل ذكروا له الفضل وحده غير معتر بصولة الجاه أو حواشي المنصب والثراء ، فشيعوه الوفاً إلى مقبره الأخير .
هباسي محمود العفار

وقد كون آراءه في النقد وذكر ما للشاعر وما عليه ، والموازنة بين عاصنه ومساويه في الشعر والأدب تكويناً لطيفاً يدل على تجرد وإنصاف في كثير من فصول الكتاب .

وقد استعان الأديب المؤلف بجميع المؤهلات التي تندبها للكتابة عن شعر الرصافي وأدبه وسيرة حياته . لأنه عاش حيث عاش واطلع على مآهد شعره وسيرته ، وانطوى له على إعجاب يتيح له أن يفهمه وينصفه وأن يعطف على موضوع دراسته . وربما كان العطف على موضوع الدراسة أول شرط من شروط التأليف في ذلك الموضوع ، فإن الناقد الذي يدرس شاعراً أو كاتباً أو رجلاً من رجال التاريخ كائناً ما كان لا يراد منه أن يتعقبه تعقب الغريم أو يدينه إدانة القاضي أو ينظر إليه نظره إلى غريب لا يمتيه أمره ويستوى عنده إنصافه وظلمه . وإنما يراد منه أن يشمر بشموره وأن يخلص إلى بواطن نفسه ، ولا سبيل له إلى ذلك بشير عطف وصداقة تعينه على الفهم الصحيح .

ولكن هذا العطف لم يمنع الأديب المؤلف من نقد الشاعر حيث يجب نقده في أدبه أو خلقه كما قال الأستاذ الجليل مقدم الكتاب . فن أمثلة ذلك أنه أنكر عليه التبذل في الغزل فقال : « وله إلى جانب هذا الهوى التوزع والقلب المتفرق غزل مبتذل ووصف مكشوف لا يتورع فيه الرصافي عن ذكر الخفيات وإبداء المورثات في غير تحفظ ولا احتشام ، مما يأباه العقل الحكيم ويحجه الذوق السليم ، وما كان يليق منه ولا يقبل هذا وهو الذي جمل شعره صورة لمجتمعه وقائداً لأمنته ، ولا سيما بعد ما عرف إقبال الناس على آثاره وحفظهم لأقواله » .

وللناقد حق في هذا النقد المتفق عليه . ولا عذر للرصافي فيما يعاب من تبذله إلا أنه وارت من وراث مدرسة المباسيين في بغداد . وقد أطلعت تلك المدرسة أبا نواس والبحترى كما أطلعت الشريف وابن المعتز . ولا تحسب أن أدباء العصر في العراق يمدرن هاتين المدرستين في أسلوب النظم ووجهته . فن جنح إلى مدرسة الشريف وابن المعتز فهناك اللفظ الجزل والنمط الرفيع والغزل المفيف ، ومن جنح إلى مدرسة أبي نواس فقد يجمع جراحه أو يتبعه في التمرد وخلع الرقبة والرقبة في بعض الأمور . فيقف عند الثورة على القديم ولا يتطوح معه في الخلاعة والمجون ...